أثيوبيا والصراع العربي و الصهيوني حول البحر الأحمر

1948- 1993

د.حميد دولاب ضيدان *

المقدمة :

يعتبر البحر الأحمر منذ القدم من أهم بحار العالم مكانة لما يتمتع به من أهمية جيوبوليتيكية واستراتيجية وتجارية وتنبع هذه الأهمية من كونه أقصر الطرق المائية التي تصل بين الشرق والغرب ، فهو يصل بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي والبحر العربي والمحيط الهندي ، الأمر الذي دفع بالدول الاستعمارية وخاصة بريطانيا وفرنسا إلى احتلال المنطقة المحيطة بالبحر الأحمر للتحكم بمصائر ومقدرات شعوبها . فضلاً عن وجود العدد الكبير من الجزر ذات المواقع الاستراتيجية في البحر الأحمر ، فهو غني بالمعادن المختلفة مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد الخام والرصاص والكروم والزنك ، ناهيك عن الثروة السمكية الطائلة الموجودة فيه .

لقد أصبح البحر الأحمر منذ الثلاثينيات من هذا القرن يؤدي وظيفة جديدة غاية في الأهمية ألا وهي نقل الذهب الأسود (النفط) من منابعه في الخليج العربي إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكذلك نقل المنتجات الغربية إلى البلدان الواقعة على حوض البحر الأحمر وخاصة البلدان العربية التي تعتمد اعتماداً كلياً على هذه المنتجات وبعد قيام دولة إسرائيل عام 1948 ازدادت حدة التوترات الإقليمية في هذه المنطقة بعد الحروب العربية الإسرائيلية (الحرب الأولى عام 1948م التي انتهت بهزيمة العرب واحتل الكيان الصهيوني فيها جزيرتي تيران وصنافير المتحكمتين في مداخل خليج العقبة واحتل

---

* استاذ مشارك / قسم التاريخ / كلية الآداب والألسن / جامعة ذمار .

الكيان الصهيوني منطقة شرم الشيخ في 29 أكتوبر 1956م تمهيداً لشن العدوان الثلاثي على مصر ، واضطر الكيان الصهيوني إلى الانسحاب منه في 10مارس 1957م بعد الإنذار الذي وجهه الاتحاد السوفيتي لدول هذا العدوان ، بعد أن تم السماح لهذا الكيان بالملاحة في خليج العقبة وقامت إسرائيل في 5حزيران 1967م بعدوانها الشهير الذي نتج عنه احتلال سيناء والجولان وما تبقى من أرض فلسطين ، وحرب أكتوبر عام 1973م) التي أصبح البحر الأحمر بعدها مسرحاً للصراعات الإقليمية والعالمية وأدت إلى قيام العديد من التحالفات في هذه المنطقة بين معاد لإسرائيل ومؤيد لها ودخول الدول العظمى طرفاً في هذه الصراعات وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق للدفاع عن مصالحها في هذه المنطقة الغنية بالبترول وتعد أثيوبيا طرفاً في هذا الصراع الدائر من أجل الهيمنة على البحر الأحمر كونها الدولة الثانية غير العربية بعد إسرائيل التي تطل على البحر الأحمر ، التي منذ قيام دولة إسرائيل بدأت توثق علاقتها معها يوماً بعد يوم انطلاقاً من أهداف جيوبوليتيكية واستراتيجية لمنع العرب من السيطرة على البحر الأحمر وجعله بحيرة عربية ، وهي بذلك تلتقي ليس فقط مع إسرائيل وإنما مع الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد عملت أثيوبيا الكثير بالضد من المصالح العربية في منطقة البحر الأحمر من أجل الهيمنة الإسرائيلية على هذا الممر المائي المهم فهي لن تكتفي بوضع سواحلها وموانئها تحت تصرف إسرائيل بل سهلت الوجود العسكري الإسرائيلي في البحر الأحمر وساعدت على بناء قواعد المراقبة والاستطلاع الإسرائيلي الموجهة ضد العرب أصلاً . مسوّغة ذلك بسبب الدعم العربي لإرتيريا ومساندتها من أجل الانفصال والاستقلال عن أثيوبيا قبل استقلالها وفي سنوات الثمانينات من القرن العشرين انتهجت أثيوبيا سياسة الانفتاح العلني والرسمي مع إسرائيل بتوقيعها العديد من الاتفاقيات والصفقات الاقتصادية والعسكرية معها التي تسمح لإسرائيل بالتصرف في أراضيها وموانئها ومطاراتها ، والتي كان من أبرز نتائجها صفقة تهجير اليهود الفالاشا تحت غطاء أمريكي إلى إسرائيل .

الملامح الجغرافية للبحر الأحمر

يمتد البحر الأحمر ما بين السويس شمالاً ، وباب المندب جنوباً ، ويبلغ طوله حوالي 2000كم ويتراوح اتساعه ما بين 20 و 304 كم ، عمقه لا يزيد عن 1000 قدم[2] .يضم البحر الأحمر حول سواحله ، ثماني دول هي : مصر – السودان – جيبوتي – أثيوبيا – إسرائيل – الأردن – السعودية واليمن.

وتشكل السواحل العربية من الناحية الجغرافية 90.2% من مجموع سواحل البحر الأحمر ، بما في ذلك خليج عدن [3] . وعلى هذا الأساس فالبحر الأحمر يقع في مركز الكتلة العربية ، من الناحية الجغرافية . وأن هذه السواحل العربية المترامية الأطراف تشكل ثروة غنية تجعل من البلدان العربية محط أنظار الدول الاستعمارية التي لا تخفي عن نواياها في إخضاع هذه المنطقة لسيطرتها ومن هذا المنطلق فهي

تولي أهمية كبيرة لإقامة مختلف الوشائج والعلاقات مع بلدانها من خلال توقيع الاتفاقيات الجائرة بحق شعوب هذه المنطقة التي تستطيع من خلالها نشر قواعدها العسكرية في هذه البلدان ونشر أساطيلها العدوانية في مياهها الإقليمية التي تشكل بوجودها العسكري بؤرة توتر وخطرا دائما يهدد أمن المنطقة وسيادتها بشكل دائم . ناهيك عن الهيمنة على مقدرات المنطقة والتصرف بمواردها الطبيعية وفرض الرقابة على حركة الملاحة في مياهها الإقليمية . ومثالا على هذه الاتفاقيات تلك الاتفاقيات الجائرة والطويلة الأمد التي وقعتها المملكة العربية السعودية مع الولايات المتحدة الأمريكية واضعة بذلك أطول مسافة من سواحل البحر الأحمر تحت تصرف أمريكا وحلفائها الذين لن يترددوا لحظة واحدة عن نهب خيرات المنطقة وثرواتها البحرية وإحكام السيطرة عليها وكذلك الاتفاقيات التي وقعتها الدول العربية الخليجية مع الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية عشية حرب الخليج الثانية وبعد هذه الحرب التي وصلت مبيعاتها من الأسلحة إلى هذه الدول وخاصة الكويت مليارات الدولارات .

جدول رقم (1)
يوضح توزيع سواحل البحر الأحمر

البلد	طول السواحل (بالميل)	النسبة المئوية
السعودية	1125	36
مصر	898	28.8
أثيوبيا	425	15.6
السودان	309	9.8
اليمن	275	8.6
جيبوتي	25	0.7
الكيان الصهيوني	7	0.2
الأردن	5	0.1

(4)

جدول رقم (2)
توزيع الجزر في البحر الأحمر

البلد	عدد الجزر	أهم الجزر
السعودية	144	فرسان
أثيوبيا	126	دهلك ، فاطمة ، حالب ، دوميرا
اليمن	41	بريم ، حنيش الكبرى ، قمران ، زقر
السودان	36	سواكن
مصر	26	شدوان ، صنافير ، كمران
جيبوتي	6	سيبا ، موليله

(5)

وتحتوي مياه البحر الأحمر على 380 جزيرة بعضها آهل بالسكان والبعض الآخر خال أو مهجور بسبب وعورة طبيعتها البركانية أو المرجانية .[6] لكنها مستخدمة للأغراض العسكرية لمواقعها الاستراتيجية التي تشكل منطلقات للسيطرة على الملاحة ونقاط المراقبة في البحر الأحمر .[7] وأهم هذه الجزر تلك الجزر الواقعة في المناطق الضيقة من البحر الأحمر وعند باب المندب توجد جزيرتا بريم ومولية الواقعتان داخل المضيق . وتليهما في الأهمية جزيرتا تيران وصنافير الواقعتان عند مدخل خليج تيران المفضي إلى خليج العقبة . وتقع جزر جوبال عند مدخل خليج السويس وأكبرها جزيرة شدوان .

فجزيرة بريم قاحلة ، تتخذ شكل الهلال وهي مليئة بالصخور البركانية وتفتقر إلى المياه إذ إن نسبة سقوط الأمطار فيها سنويا لا تتجاوز 2.0 بوصة ومتوسط الحرارة فيها خلال أشهر الصيف تبلغ 90 درجة فهرنايتية . وطول هذه الجزيرة الهلالية ثلاثة أميال وعرضها ميلان وتبلغ مساحتها ستة أميال مربعة وتحتوي مرفأ صغيرا عند طرفها الجنوبي الغربي . وتتميز بريم بموقعها الذي يتيح التحكم في البحر الأحمر من جهة الجنوب .[9]

أما جزيرة حالب فتقع في خليج عصب عند الطرف الجنوبي من الساحل الإرتيري . وهي تلي بريم في كونها أقرب الجزر إلى مضيق باب المندب . وفي شمال جزيرة حالب تقع جزيرة فاطمة فيما يقع أرخبيل حنيش شمال حالب بين سواحل اليمن الشمالي وإرتيريا عند خط عرض 13 شمالا وخط 12 شرقا. وأكبر الجزر المأهولة في هذه البقعة هي جزيرة حنيش الكبرى . وجزيرة زقر تقع عند خط عرض 14 شمالا على بعد حوالي 20 ميلا من سواحل اليمن الشمالي و65 ميلا عن سواحل أرتيريا .[10]

وتتميز جزيرة زقر بأهمية استراتيجية كبيرة بفضل ارتفاعها الذي يتيح إمكانية المراقبة والرصد للنشاطات البحرية التي تجري في المياه المحيطة بها ، وهناك جزيرة أبو عيل وهي جزيرة صغيرة جداً وتبعد عن زقر بأقل من ميل واحد إلى الشمال الشرقي . وهناك أيضاً جزيرة قمران التي تبعد حوالي 45 ميلا شمال ميناء الحديدة اليمني ، وحوالي 200 ميل عن جزيرة بريم وتبلغ مساحة قمران 35 ميلا مربعاً ومواطنوها يمنيون . أما جزر الزبير فتقع عند خط عرض 15 شمالا وخط طول 42 شرقا ملاصقة للساحل اليمني ، ونجد كذلك أرخبيل دهلك القريب من مصوع ويتكون من جزيرتين رئيسيتين و 124 جزيرة صغيرة .[11]

وأكبر هذه الجزر هي دهلك ومساحتها 290ميلاً مربعاً وطولها 40ميلاً . وتليها جزيرة نورة ومساحتها 50 ميلاً مربعاً وتقع جزر فرسان قرب جيزان في السعودية عند خط عرض 17شمالاً وخط طول 42 شرقا ، وأكبرها فرسان الكبرى التي يبلغ طولها 40ميلاً .[12]

أما جزيرة صنافير فتقع على بعد ميل ونصف شرقي جزيرة تيران ، وكلتاهما في مضايق تيران ، في حين أن جزيرة شدوان هي أكبر الجزر الواقعة عند مدخل خليج السويس قرب الغردقة وطولها حوالي تسعة أميال .[13]

وتمثل مساحة الأرض العربية من مجموع مساحة هذه الجزر حوالي 66.8% أي القسم الأكبر من هذه الجزر أرضا عربية .[14] ولكن للأسف أن هذه المساحة الكبيرة من الجزر لم تستثمر من قبل

البلدان العربية وبشكل خاص الأنظمة العربية بالشكل الذي يتناسب مع موقع هذه الجزر وأهميتها الجغرافية والاقتصادية والعسكرية . مقارنة بما تقوم به إسرائيل من نشاطات اقتصادية وعسكرية على أرض ليست لإسرائيل صلة بها بل كل ما في الأمر عقدت اتفاقيات سرية أو علنية مع مالكيها وشيدت عليها العديد من القواعد العسكرية ومحطات المراقبة والتنصت والتجسس كل هذا شيد على جزر الدهلك الأثيوبية التي سنتناولها في هذا البحث لاحقاً .

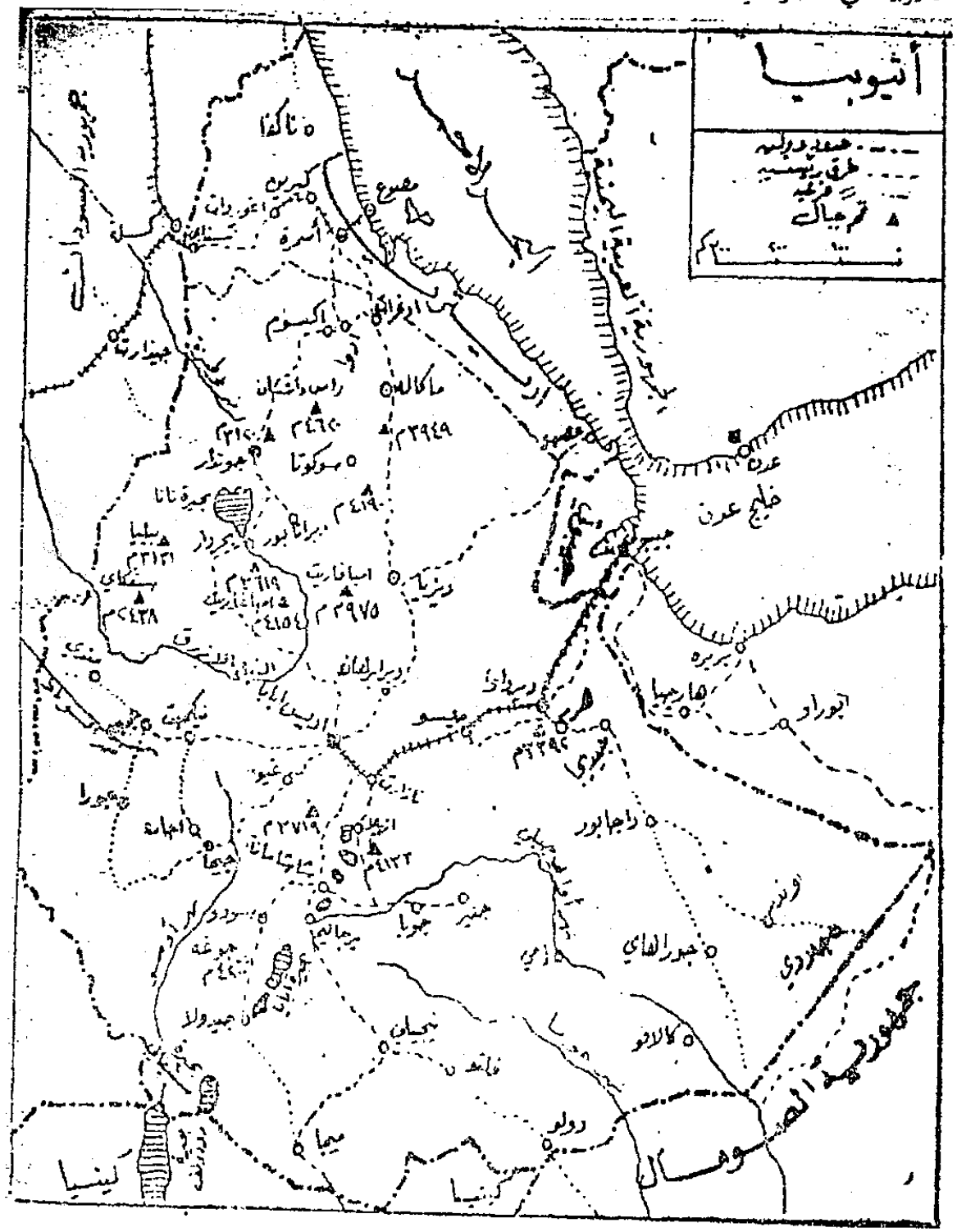

الأهمية السياسية والاقتصادية والاستراتيجية للبحر الأحمر :

على الرغم من أن امتداد البحر الأحمر يمثل هذا العدد المعروف من الجزر فضلاً عن الأخرى غير المعروفة وعلى الرغم من كثرة الشعاب المرجانية على شطئانه وانحصار المجرى الملاحي في وسط مياهه بشكل يحيل الملاحة فيه إلى ملاحة خطيرة تحتاج إلى ملاحين مهرة ، يحفظون ممرات البحر وشعابه . على الرغم من كل ذلك فقد كان البحر الأحمر يمثل أعظم طرق المواصلات البحرية في العالم وخاصة بين الشرق والغرب . ومنذ العصور السحيقة اكتسب هذا البحر أهمية سياسية واستراتيجية واقتصادية . وذلك عرف القدماء فيه ميزة الربط بين الساحل الأسيوي عند شبه الجزيرة العربية والساحل الأفريقي عند مصر إلى شمال أفريقيا وعند السودان والصومال إلى قلب القارة السوداء .

ويقول المؤرخون إن أهمية البحر الأحمر الاستراتيجية والمميزات السياسية والاقتصادية عرفت منذ أربعة آلاف سنة تقريبا وربما خلال الألف الثانية قبل الميلاد [15] . ولقد كانت الريادة في كشف أهمية الإبحار عبر هذا البحر تعود للفراعنة وبالذات إلى أسطول الملك حتشبسوت الذي أبحر في مياهه لبلوغ بلاد البنوت عند القرن الأفريقي (الصومال وإرتيريا) لجلب العطور والبخور والأخشاب منذ عشرين قرناً قبل الميلاد [16]. ثم اختراق الفراعنة جنوباً حتى بلغوا بلاد الهند بقصد التجارة في العطور والتوابل وغيرها من منتوجات الشرق في الألف السنة الأولى قبل الميلاد . واتسعت بعد ذلك فائدة البحر الأحمر كواسطة للنقل البحري لنقل شتى أنواع التجارة من اليمن والهند وشرق أفريقيا التي تشق طريقها حتى حوض البحر المتوسط ثم أوروبا الغربية .

ويعود الفضل في تحديد معالم الملاحة وتنظيمها وتحديد المسالك التي يمكن الإبحار من خلالها إلى الفينيقيين وهم أشهر وأمهر الملاحين في عصور ما قبل التاريخ وخاصة من خلال رحلاتهم الجغرافية الاستكشافية للشواطئ الأفريقية الطويلة قبل الميلاد بأكثر من خمسمائة عام على الأقل[17] .ومنذ فتح قناة السويس عام 1869 زادت أهمية البحر الأحمر كممر دولي يتوسط بلاد الشرق الأوسط ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية الكبيرة في حلبة التنافس بين الدول الاستعمارية الكبرى . وفي الوقت نفسه تفاقمت حدة الصراعات وأخذت مظاهر مختلفة ، منها الثقافي والإيديولوجي والاقتصادي والعسكري .

إن أهمية البحر الأحمر والصراع المحتدم عليه ليست جديدة بل ترجع إلى عشرات القرون سواء أكانت الصراعات بين الشعوب القديمة في مصر والجزيرة العربية وسواحل أفريقيا ، أم بين دويلات العصور الوسطى أم بين إمبراطوريات الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر المتمثلة في بريطانيا وفرنسا والبرتغال وأسبانيا ، أم تلك الصراعات التي كانت دائرة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق . فالبحر الأحمر بمدخله الشمالي عند قناة السويس ، وبمدخله الجنوبي عند باب المندب والقرن الأفريقي ظل وسيظل يلعب دور محور الصراع في هذه المنطقة من العالم .

فما من ممر مائي كان سببا في الصراعات المستمرة بين أكثر الأنظمة الحاكمة وفي التدخل السافر في شئون المنطقة أكثر مما كان البحر الأحمر .

إن الخـــواص الاســـتراتيجية لهذا البحر ، ظلت على مر التاريخ عامل جذب لاهتمام قوى مختلفة ومتصارعة ، ما لبث أن دخلت في غمار مناورات ومنافسات وصراعات ومنازعات مسلحة في إطار سعي كـــل منها إلى تحقيق أهداف اقتصادية وعقائدية وسياسية وعسكرية واستراتيجية عن طريق السيطرة على المـــنطقة بأكمـــلها . فـــإذا كان البحر الأحمر يشكل بحكم موقعه الاستراتيجي أقصر ممر مائي بين الشرق والغـــرب ، فهو أيضا مصدر للصراعات الإقليمية والدولية . وبفضل اكتشاف البترول في الخليج والجزيرة العربية بكميات تجارية كبيرة وبفعل الحاجة الماسة للنفط في أوروبا وأمريكا أصبح البحر الأحمر بكل مميزاته وخصائصه الجيبولتكية أخطر محاور الصراع الدولي وملتقى أهم نقاط التحكم الاستراتيجي باعتباره حامل البـــترول والشريان الذي ينقل 70% من بترول الخليج المتدفق إلى أوروبا وأمريكا[18] . ومصير التجارة الأساســـية ومجال تدفق القوة العسكرية ما بين البحر المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلسي وبين المحيط الهادي والمحيط الهندي .

وهكـــذا نلاحظ أن البحر الأحمر ومنذ اللحظة الأولى لاكتشاف الملاحة فيه وحتى يومنا هذا كان محـــورا للصراعات الإقليمية والدولية ، فالمستفيدون من تجارة الشرق كانوا يحمون أمن طريق هذه التجارة بأســـاطيلهم وجيوشهم التي احتلت العديد من البلدان الواقعة على هذا البحر ، والمستهلكون للبترول بين الشـــرق والغرب الأوروبي الأمريكي بأي ثمن حتى ولو كان حياة تلك الشعوب التي تملك هذا البترول ، إنهـــم لـــن يـــترددوا عن إشعال الحروب الإقليمية أو المحلية أو حملات تأديب وردع عسكرية ومناورات عســـكرية أو أعمـــال إرهابـــية أو تدخل سافر بشئون هذا البلد أو ذلك إلى حد الاحتلال الاستعماري والسيطرة التامة عليه ، كما يجري اليوم في منطقة الخليج والجزيرة العربية والعراق وإيران التي تعد أضخم مـــناطق إنـــتاج البـــترول واحتياطه في العالم ولذلك فهي قابلة للاشتعال الفوري في أية لحظة تتعرض فيها مصـــالح الدول الغربية الصناعية الكبرى الاستعمارية للخطر وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي تعد نفسها صاحبة " الحق الأول " في بترول هذه المنطقة ، فهي صاحبة شركات التنقيب والإنتاج والنقل وهي سوق الاستهلاك والاحتكار العالمي . لهذه السلعة الاستراتيجية وهي التي تحدد سعرها في السوق العالمية .

ومـــا حـــرب الخليج الثانية التي شهدت أكبر عدوان سافر قامت به الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها ضد العراق وأوسع تدخل شهدته المنطقة بأكملها تحت ذريعة تحرير الكويت ، التي كانت ذريعة واهية لتدمير القدرات العسكرية والاقتصادية والحضارية والعمرانية للعراق إلا دليل قاطع على هذا النهج العدواني الأمريكي في هذه المنطقة الغنية بمواردها ، إن أمريكا لن تبالي لو دمر العراق ودمر الكويت وقتل مئات الآلاف من العراقيين والكويتيين كما حصل ولن تهتم لو كان على رأس دولة الكويت أميرا أو ملكا أو رئيسا ، كل ما في الأمر أن ما يهمها وتقوم قائمتها عليه هو لو تعرض برميل واحد من النفط للحرق أو الدمـــار فما بالك أن تعرضت مئات الآبار للحرق والدمار . إنما أمريكا لا غيرها جعلت من العراق ومن الكويـــت مسرحا لتجريب أحدث الأسلحة العسكرية وآخر مبتكراتها التكنولوجية الحربية من أجل حماية وســـلامة وصـــوله من الخليج عبر مضيق هرمز إلى خليج عدن فباب المندب إلى البحر الأحمر ، إنه السيد النفط .

بعد تناولنا في بحثنا هذا وبشكل عام الملامح الجغرافية والأهمية الاستراتيجية والسياسية والعسكرية والاقتصادية للبحر الأحمر باعتباره الشريان الذي يغذي العالم الأوربي والأمريكي بالذهب الأسود ، الذي ينبع من بلدان الخليج والجزيرة العربية والعراق وإيران . نتناول الآن جانبا من أهم جوانب الصراعات الدائرة والمتعددة والهادفة وإن اختلفت أشكالها إلى السيطرة على هذا الممر المائي العظيم . ألا وهو موقف أثيوبيا من الصراع العربي الإسرائيلي حول البحر الأحمر .

موقف أثيوبيا من الصراع العربي الإسرائيلي :

يعود الصراع العربي الإسرائيلي حول البحر الأحمر إلى عام 1949م عندما قامت القوات الإسرائيلية بخرق اتفاقية الهدنة التي فرضها مجلس الأمن الدولي واحتلت مدينة أم الرشراش العربية وأسست لنفسها وجودا في خليج العقبة وأطلق على أم الرشراش أسم ميناء أيلات عام 1952م . بدأت إسرائيل بتحقيق هذا الوجود على البحر الأحمر لتأمين صلتها مع العالم الخارجي واستخدامه لتحقيق مصالحها العسكرية والاقتصادية والسياسية . خطوة أولى باتجاه السيطرة على البحر الأحمر ذاته ومن أجل هذا الهدف بدأت باحتلال الأراضي العربية في الجزء الشمالي واحتلال الجزر الواقعة في الجزء الجنوبي من المنطقة [19] .

إن اهتمام إسرائيل بالبحر الأحمر وسعيها للسيطرة عليه هو جزء من توجهها العام الذي يرتبط بسياستها التوسعية الاحتلالية التسلطية هذا من جانب ومخاوف إسرائيل من أن يصبح البحر الأحمر بحيرة عربية وذلك أن أغلب الدول الواقعة على سواحله هي بلدان عربية وكونه الشريان الناقل والأقرب من بحيرة النفط في الخليج والجزيرة العربية ، فليس من مصلحة إسرائيل أن تحكم البلدان العربية قبضتها على منافذ البحر الأحمر والسيطرة على الملاحة فيه وغلق الباب بوجه التجارة والملاحة الإسرائيلية من جانب آخر .

لقد كتب " كاتسنلسون " المحرر في صحيفة حيروت الإسرائيلية عام 1949م قائلا : (نحن نملك أسطولا بحريا ضخما ، يعمل في مرافئ العالم كافة ، وسيرتفع عدده عام 1956م ، ولذا فعلينا أن نعد العدة لمستقبل تستطيع فيه أساطيلنا البحرية والحربية ، أن تحطم الحصار العربي ، المفروض علينا وأن نفرض الحصار بدورنا على بعض الدول العربية بشكل أقوى مما فرضوه علينا .. أي باختصار مطلوب منا أن تكون لدينا خطة نستطيع عن طريقها أن نحول البحر الأحمر إلى بحيرة يهودية بالتدريج)[20] .

إن الكيان الصهيوني وبعد إنشاء ميناء إيلات على البحر الأحمر ، عدّ النفاذ إلى القارة الإفريقية عبر الرئة الثانية التي يتنفس منها وهي البحر الأحمر مسألة غاية في الأهمية وذلك للحصول على امتيازات سياسية واقتصادية واستراتيجة في القارة الإفريقية ، وقد أكد هذه الحقيقة رئيس وزراء الكيان الصهيوني الاسبق دافيد بن غوريون حيث قال بمناسبة افتتاح ميناء أيلات ، وبدء تسيير الخط البحري مع أقطار شرق أفريقيا :" إن العلاقات مع أفريقيا تحتل المرتبة الأولى مع علاقات إسرائيل الخارجية مع العالم نظراً لقرب موقعها الجغرافي ، ولما تكتنزه هذه القارة من مواد خام تحتاج إليها ولما تشكله من سوق ضخمة

تحتاجها لتصريف منتجاتها ومجالاً لممارسة مختلف النشاطات ، ونقل تجاربنا في مجالات الزراعة وإحياء القفار وإعمار المناطق الصحراوية لتلك الأقطار "[21] .

ويواصل بن غوريون التعبير عن اهتمامه بالبحر الأحمر عندما قال : " أنني أحلم بأساطيل داؤود تمخر عباب البحر الأحمر . وقال أيضاً إننا محاصرون براً والبحر هو طريقنا الرئيسي ، للمرور الحر إلى يهود العالم وللاتصال بالعالم "[22] وقد ترجم الزعماء الصهاينة الذين خلفوا بن غوريون على قيادة الحركة الصهيونية هذه الأقوال إلى حقيقة بإقامة ميناء أيلات عام 1949م في خليج العقبة ، وأقاموا علاقات وثيقة مع أثيوبيا (أكبر دولة في القرن الأفريقي) في عهد زعيمها هيلاسيلاسي ، حيث استفادوا منها كثيراً كما شهدت الأيام فيما بعد .

ترتبط أثيوبيا تاريخيا بقيام أول دولة سياسية تتمثل في مملكة اكسوم بشمال هضبة الحبشة التي ترجع إلى القرن الأول الميلادي . وشعب هذه المملكة تكون من اختلاط الكوشيين والساميين الذين عبروا البحر الأحمر منذ فجر التاريخ المعروف[23] . وقد أصبحت هذه المملكة مسيحية في عام 330 م وظلت محتفظة بمسيحيتها حتى بعد انتشار الإسلام وإحاطة البلدان الإسلامية بها [24] . تضم أثيوبيا داخل حدودها خليطا معقدا ومختلفا من الأعراق والأديان واللغات وهذا يعود في الأساس إلى سعة هذه الإمبراطورية وتعدد الأقاليم السكانية فيها .

تضم أثيوبيا حالياً ما يقرب من 70 مجموعة عرقية ، تتمثل بصفة أساسية في عدة مجموعات رئيسة فهنالك مجموعة الأمهريين والتيجريين الذين يشكلون ما يقرب من 35 % من مجموع السكان ومعظمهم يرتكز في الشمال والوسط ، وهم يرجعون إلى أصول سامية ويؤلفون الطبقة الأرستقراطية الحاكمة في البلاد[25] .

وهناك مجموعة الجالا الذين يشكلون ما يقارب 40 % من مجموع السكان ويتركزون في الجنوب وعلى السفوح الدنيا في الوسط وعلى الحدود الغربية للمنطقة و توجد عناصر الشانجالا الذين يشكلون ما يقرب من 6% من السكان . ونفس النسبة يشكلها الصوماليون والدناكل الذين يتركزون في الأقاليم الجافة الشرقية والجنوبية الشرقية . فضلاً عن ذلك تنتشر القبائل النيلية على الحدود السودانية في الركن الجنوبي الغربي من البلاد[26]. كما توجد قبائل الفالاشا [27] ، أو اليهود السود الذين يعيشون في منطقة سمين شمال بحيرة تانا وقبائل البجه في الطرف الشمالي من البلاد وقبائل اجايو في وسط الهضبة ، فضلا عن مجموعة قبائل سيدامو على السفوح الجنوبية لهضبة الحبشة . هذا فضلاً عن الأقليات والجاليات العرقية الأخرى كالعرب والأرمن واليونان والإيطاليين والهنود وغيرهم .

ويوجد في أثيوبيا ما يقرب من 50 لغة ولهجة ، ومعظم هذه اللغات واللهجات تنتمي إلى الشعبة السامية والحامية التي تتفرع من مجموع اللغات الأفرو أسيوية [28] .

إن أثيوبيا الإمبراطورية منذ عصر منليك الثاني جد هيلاسيلاسي (1889 – 1913) مرورا بعصر هيلاسيلاسي ثم أخيراً عصر منغستو هيلا مريام وحتى يومنا هذا ، كانت وما زالت تؤكد اهتمامها

الاســـتراتيجي بـــالإطلال عـــلى باب المندب وتمسكها بالساحل الأرتيري المطل على البحر الأحمر والمحيط الهندي المتمركز فوق القرن الأفريقي[29].

لقـــد وجدت إسرائيل في أثيوبيا الصديق التقليدي والدولة غير العربية الوحيدة المطلة على البحر الأحمـــر وجاءت المصالح السياسية والعسكرية والاقتصادية لتضع أثيوبيا وإسرائيل في جبهة واحدة لمواجهة الجبهة العربية المعادية .

وكذلـــك وجـــدت أثيوبـــيا هي الأخرى نفسها في موقف التعاطف والإلتقاء الاستراتيجي مع إســـرائيل لأسباب مختلفة أهمها البعد التاريخي للعلاقات بين ممالك الحبشة القديمة و اليهود وأخطرها التقاء الطرفين في مواجهة السياسة العربية

ومـــا عجل بسرعة الالتقاء بين أثيوبيا وإسرائيل الدعم المباشر أو غير المباشر الذي قدمته الدول العربية لأرتيريا والصومال في حربهما ضد أثيوبيا من أجل الاستقلال .

مراحـــل التعـاون الإسرائيلي الأثيوبـي :

مـــن خلال دراستنا لتاريخ العلاقات الإسرائيلية الأثيوبية يمكننا تحديد مرحلتين أساسيتين للتعاون بين البلدين :

المرحلـة الأولـــى : 1948م ـ 1974م :

وتمـــتد هذه المرحلة منذ قيام الكيان الصهيوني عام 1948م وحتى عام 1974م ، أي خلال فترة حكـــم الإمبراطور هيلاسيلاسي الذي حكم أثيوبيا من عام 1930م حتى عزله في 12سبتمبر عام 1974م بســـبب المعارضة الشديدة له وخاصة في العشر سنوات الأخيرة من حكمه لفشله في حل المشاكل الخطيرة الـــتي واجهـــت أثيوبيا مثل الجفاف والمجاعة التي شهدتها البلاد عام 1973م ، ثم اغتياله في ظروف غامضة بعد أحد عشر شهراً من عزله [30] .

وقـــد شهدت سنوات الخمسينات من حكم هيلاسيلاسي اهتماماً كبيراً من قبل الكيان الصهيوني وخاصـــة في المجال العسكري والاقتصادي ، فقد صرح عام 1952م موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي بـــأن أمن أثيوبيا وسلامتها هو الضمان لإسرائيل وخاصة في منطقة البحر الأحمر ، ومنذ عام 1952م فضلاً عـــن تدريـــب العســـكريين قامت إسرائيل بمشروعات إنمائية في مجال الزراعة وصناعة اللحوم في منطقة أرتيريـــا [31] . جـــاء بعد ذلك الاعتراف الدبلوماسي الأثيوبي بإسرائيل عام 1956م ، إذ تبادل الطرفان التمثيل القنصلي الذي رفع إلى درجة سفارة عام 1961م وتم تبادل السفراء فعلاً في عام 1962م [32] .

نشأت العلاقة بين إمبراطور الحبشة هيلاسيلاسي والكيان الصهيوني على أرضية تاريخة قديمة يعود عهدهـــا إلى الماضـــي البعيد ، ويدعي مؤرخون صهاينة أن العلاقات الصهيونية الأثيوبية لها جوانب دينية وتاريخـــية ، فالحبشـــة كانت في الماضي السحيق مركزاً مهماً للديانة اليهودية بعد أن اعتنق الأحباش هذه الديانـــة الـــتي انتقلت من اليمن واتخذت هذه العلاقة بعداً تاريخياً آخر في عهد الملك سليمان عندما تزوج

ملكة سبأ ، ولا تزال هناك قبائل يهودية كبيرة يعرف أفرادها بقبائل (الفالاشا) تعيش في الحبشة ، وقد بدأ أفرادها يهاجرون إلى الكيان الصهيوني منذ عام 1984م [33] .

ومن هنا فلا غرو أن يكون تعامل الصهاينة مع هيلاسيلاسي لكسب وده مختلفاً تماماً ، فالكيان الصهيوني لم يعد إلى أسلوب الإغراء وإنما استعان بالأساطير القديمة لإثارة نوازع لدى هيلاسيلاسي وقد شاهدنا آثار ذلك من خلال تركيز أرباب الدعاية الصهيونية على تلك العلاقة التاريخية بين مملكة إسرائيل القديمة والحبشة ، وتذكير الإمبراطور بأصله اليهودي وبالدم اليهودي الذي يجري في عروقه [34] .

لقد لعبت إسرائيل على الإمبراطور هيلاسيلاسي إمبراطور الحبشة في ذلك الوقت لعبة الأصل العرقي المشترك فرغم أن الإمبراطور أرثوذكسي يرتبط روحيا بالكنيسة المصرية فإنه كان يتباهى بعلاقته القديمة بالتاريخ اليهودي والأصول اليهودية ، الشيء الذي سهل لإسرائيل كثيراً من الأمور مقابل أن تمده هي بالأسلحة والمدربين وبالتعاون الاقتصادي المتزايد وساعدته في إخماد الثورة الأرتيرية وساحل الصومال الغربي [35] .

كان التعاون العسكري بين أثيوبيا والكيان الصهيوني يعدّ ومنذ البداية أهم مجال للتعاون بينهما ، فقد شمل هذا التعاون إرسال المدربين للإشراف على تنظيم وتدريب الجيش الأثيوبي ، وعلى الأخص الوحدات الخاصة وقوات الكوماندوز البحري والمظلّيين والحرس الإمبراطوري ، وقد استدعى ذلك وجود أكثر من (600) مستشار صهيوني بدءوا يتوافدون على أثيوبيا منذ عام 1963م أي منذ بدأ التعاون العسكري بين تل أبيب وأديس أبابا في هذا المجال ، ولم يقتصر النشاط العسكري على تدريب القوات الأثيوبية والإشراف على تنظيماتها بل امتد إلى مجال آخر وهو إسناد مهمة الكلية الحربية في أديس أبابا للضباط الصهاينة وإنشاء مدرسة عسكرية لتدريب الجنود على حرب العصابات لمواجهة الثورة الأرتيرية ، أما ضباط الشرطة الصهاينة فقد تولوا تدريب الشرطة وكذلك التدريب في كلية الشرطة ومهمات أخرى في وزارة الداخلية الأثيوبية وفي أجهزة المخابرات ، هذا بالإضافة إلى تدريب مجموعات كبيرة من الأثيوبيين [36] .

حاولت إسرائيل إقناع بعض الدول الإفريقية من خلال إقامة علاقات معها وإغمارها بالمساعدات من إن سيطرة العرب على مدخل البحر الأحمر الجنوبي يشكل خطراً على التجارة الإفريقية وعلى رأسها أثيوبيا ، وقد تم اتفاق إسرائيل وأثيوبيا على وضع قوات صهيونية في الجزر الأرتيرية وعلى ضوء هذا الاتفاق قام هيلاسيلاسي يرافقه وفد إسرائيل بزيارة جزر دهلك في مايو 1970م وقد أشيع أن هدف هذه الزيارة هو بناء فندق سياحي فيها لجلب الأنظار والتغطية على الهدف العسكري من وراء هذه الزيارة [37] .

وفي 11سبتمبر 1971م قام الجنرال حاييم بارليف رئيس أركان القوات المسلحة الإسرائيلية بزيارة إلى أسمرة وإلى الحدود السودانية وطاف والوفد المرافق له سواحل البحر الأحمر وبعد تلك الزيارة تم احتلال جزيرة دهلك والجزر المحيطة بها دون أن تكون هناك أية معلومات عند العرب عن هذا الموضوع ، إلى أن أذاعت وكالات الأنباء الأمريكية الخبر في مارس 1973م بعد ثمانية شهور من إتمام عملية الاحتلال الإسرائيلية [38] .

وحتى في عام 1973م عندما قطعت الحبشة علاقتها الدبلوماسية مع إسرائيل ، ظلت إسرائيل تقيم علاقات وثيقة جداً مع أثيوبيا ، فقد كانت إسرائيل تحتفظ ببعثة دبلوماسية قوية في أديس أبابا ، كما ارتبط الجانبان بعلاقات تجارية متطورة والأهم من ذلك هو تلك المساعدات الفنية المختلفة التي كانت تقدمها إسرائيل إلى أثيوبيا ، علماً بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي الممول لهذه المساعدات[39] .

كانت إسرائيل تعرف جيداً قيمة الموقع الاستراتيجي الهام الذي تتمتع به أثيوبيا وأهمية موانئها الواقعة على البحر الأحمر قبل استقلال أرتيريا ، وكانت ترى فيها حليفاً طبيعياً باعتبار أنها أشبه ما تكون بجزيرة غير إسلامية وسط محيط عربي إسلامي[40] .

وقد أدت المصالح السياسية والعسكرية والاستراتيجية بإسرائيل في ظل الحصار العربي ، إلى أن تنظر جنوبا تجاه المخنق الجنوبي للبحر الأحمر عند القرن الأفريقي حيث يقتسم العرب وأثيوبيا مناطق السيطرة والتحكم في مضايق باب المندب والجزر المتناثرة عبره وعند مداخله .

وأدت المصالح والمطامح نفسها بأثيوبيا أن تنظر شرقاً إلى الموقع نفسه ذي الأهمية الاستراتيجية الكبرى باتجاه تعزيز نفوذها في منطقة القرن الأفريقي وفي البحر الأحمر ذي الأهمية الاستراتيجية الكبرى .

ومن خلال أثيوبيا والتقرب إليها ونسج مختلف الوشائج والعلاقات معها نجحت إسرائيل في الحصول على تسهيلات عسكرية وبحرية في السواحل والجزر الأرتيرية المطلة على باب المندب والتي تحتلها أثيوبيا قبل استقلال أرتيريا ، خاصة في مينائي عصب ومصوع وفي أرخبيل جزر دهلك التي أقامت عليها إسرائيل تحت الغطاء الأثيوبي مراكز مراقبة واتصال ومجموعات عمل عسكرية هذا فضلاً عن تدعيم الطيران الإسرائيلي ليصل مدى قوته الضاربة حتى باب المندب بعد تزوده بالوقود في الجو [41] .

يعد أرخبيل دهلك التابع لساحل أرتيريا والمواجه لمنطقة مصوع وميناؤها الكبير واحداً من ثلاث مناطق تسيطر على أكثر بحار العالم ملوحة وحرارة (البحر الأحمر) . فبين قناة السويس في الشمال ومضيق باب المندب في الجنوب تستقر جزر دهلك وسط الممر المائي الدولي مستندة إلى ساحل طوله 1515 كيلو متر (شاطئ أرتيريا وتيغراي) .

ولولا السيطرة الأثيوبية على سواحل أرتيريا قبل استقلالها وتيغراي لكان البحر الاحمر قد تحول بحق إلى بحيرة عربية ولكن ... ثمة نافذة فتحت على هذا البحر بعد احتلال الأراضي الفلسطينية وتكون

محـور إسـرائيل – اثيوبـيا الـذي تعزز بوجود الأمريكيين عسكرياً في أثيوبيا وعلى السواحل الأرتيرية والتـيغرية [42] ، بعد هزيمة المحور الإيطالي – الألماني وما لبث هذا الحضور أن تعزز إثر ضربة السويس ثم جـلاء الإنجليز عن جنوب اليمن واحتلال الإسرائيليين لسيناء وإقفال قناة السويس في وجه مصر والملاحة الدولية في آن واحد .

وكـلما تدهـور الوضع العربي العام حققت إسرائيل نجاحات كبيرة أو احتلال جديداً للأراضي العربـية سـارعت أثيوبيا لتوطيد وتعميق علاقاتها مع إسرائيل ، حيث كانت أثيوبيا من أولى الدول التي سارعت إلى الاعتراف بالكيان الصهيوني وبناء تحالف معه غير مجاهر به رسمياً . وكان لعلاقة حاييم وايزمان بالإمبراطور هيلاسيلاسي دور كبير في دفع عجلة التعاون إلى الأمام بين الكيان الصهيوني والأسرة الحاكمة في الحبشة التي شهدت قمة تطورها في عهد منليك الثاني جد هيلاسيلاسي .

وبمـرور الأيام وتعاقب الأحداث السياسية وتوطيد العلاقة بين الطرفين صارت إسرائيل هي التي تعـد الملاكات الإدارية والفنية لدولة الإمبراطور [43] ولن ينتهي هذا الدعم وهذه المساعدة بانتهاء سلطة الإمـبراطور ، بل أخذ اشكالا مختلفة وأوسع من الماضي ليشمل المجال السياسي والعسكري والاقتصادي وخاصة في زمن منغيستو هيلامريام .

المرحلـة الثانيـة : 1974م-1993م :

وتمـتد هـذه المرحلة من سقوط هيلاسيلاسي ونهاية النظام الإمبراطوري في أثيوبيا عام 1974م وحـتى نهايـة حكـم مانغستوهيلا ماريام وهروبه خارج البلاد في مايو 1991م بعد الإطاحة بالإمبراطور هيلاسيلاسي عام 1974م ، تأسست في أثيوبيا حكومة عسكرية وصار الجنرال أمان أندوم رئيساً للدولة ، وبعـد فـترة قصيرة من نفس السنة التي تولى فيها الرئاسة تم اغتياله ، وجاء إلى الرئاسة في أثيوبيا شخص جديـد هو الجنرال تافا بينيتي واصبح كل من مانغستوهيلا ماريام وأنتانفو أبابتي نائبين له . وفي 20ديسمبر 1974م أصـبحت أثيوبـيا دولـة ذات توجـه اشتراكي ، وتم تأميم أكثر من مائة شركة وتم تأميم كل الأراضـي الزراعية عام 1975م ، وفي 3فبراير عام 1977م أصبح مانغستوهيلا ماريام رئيساً للدولة . قام مانغستوهيلا ماريام بعد تسلمه الرئاسة بإلغاء منصب الإمبراطور وألقاب الأمراء ، وكما ألغى شعار الدولة الإمـبراطورية أسد يهوذا الذي تحول إلى أسد أثيوبيا ، وظل مانغستوهيلا ماريام يحكم أثيوبيا حتى مايو عام 1991م عندما قامت الثورة ضده وهروبه خارج البلاد [44] .

شـهدت العلاقات العربية الأثيوبية حالة من التدهور والتوتر بين الطرفين في عهد مانغستو الذي حـارب الثورة الإرتيرية وتعاون مع الحركات الإنفصالية في جنوب السودان والصومال وجيبوتي والتدخل في الشـئون الداخلـية لهذه الدول ، وبالمقابل شهدت العلاقات الإسرائيلية الأثيوبية تطوراً كبيراً في عهده وخاصة في المجال السياسي والاقتصادي والعسكري .

فقـد أكمل المستشار السياسي الأول لمنغيستو هيلا ميرام كيسي كبيدي دراسته الجامعية في تل أبيـب حيـث أمضـى خمـس سنوات هناك من 1960م إلى 1965م ونال شهادتين في الاقتصاد وعلم الاجتماع . وهو كغيره من الملاكات الأثيوبية التي تعلمت هناك يتقن اللغة العبرية اتقانا كاملاً .

وبعـد نكسـة 1967م وسـعت أديس أبابا تعاونها مع تل أبيب في شتى المجالات وخاصة المجال العسـكري إذ إن معظـم ضباط الجيش الأثيوبي تلقوا تدريباتهم ودروسهم الحربية في المعاهد والمؤسسات الحربـية الإسـرائيلية . هذا فضلاً عن التدريبات التي يقوم بها الضباط والخبراء الإسرئيليون داخل الجيش الأثـيوبي[45] حـتى أن الـبعض مـن هؤلاء الخبراء الإسرائيليين أخذ يطلق على الجيش الأثيوبي " الفرقة السوداء " في تساحال .. و " تساحال " هو أسم الجيش الإسرائيلي باللغة العبرية .

شـكل الـتحالف الإسـرائيلي الأثيوبي خطراً كبيراً على الأمن القومي العربي [46] ، كون هذا الـتحالف يعـد مـن أقـوى وأهم التحالفات في أفريقيا حيث تنظر إسرائيل إلى أثيوبيا باعتبارها حليفاً استراتيجياً يجب المحافظة على العلاقات معه بأي ثمن كان ويعزى هذا الاهتمام الإسرائيلي الكبير بأثيوبيا إلى الاعتبارات التالية :

1. أن أثيوبـيا هي الدولة الوحيدة غير الإسلامية وغير العربية التي تطل على البحر الأحمر ، ومن ثم ينبغي الإبقاء عليها موحدة للحيلولة دون تحول البحر الأحمر إلى بحيرة عربية .
2. استخدام أثيوبيا منفذاً للتغلغل الاقتصادي في أفريقيا ومن ثم كسر حدة المقاطعة العربية .
3. وعـن طـريق التحالف والتعاون الإسرائيلي الأثيوبي تستطيع إسرائيل مراقبة الملاحة عبر مضيق باب المـندب ومحاولـة السـيطرة عليه عن طريق جزر دهلك التي احتلتها ووضعت فيها قواتها وبنت فيها قواعـد عسـكرية ومطارات حربية ونقاط مراقبة وأجهزة استطلاع ورادارات متطورة لمراقبة نشاط الدول العربية [47] .
4. لتوطـيد العلاقة مع اليهود الفلاشا وترتيب عملية هجرتهم إلى إسرائيل كما حصل في عام 1977م و 1984م و 1989م[48] .

دور أمريكـا فـي تعزيـز العلاقـات الإسرائيليـة الأثيوبيـة :

1. في المـرحلة التي كان فيها الصراع الأمريكي – السوفيتي حول القرن الأفريقي وبالذات حول منطقة الـبحر الأحمـر يـزداد حـدة ويأخذ أشكالا مختلفة واستقرار الأمريكان في الصومال بعد انسحاب السـوفيت مـنها إلى أثيوبـيا وتوطـيد العلاقة السوفيتية الأثيوبية وعلى الرغم من الدعم والمساندة والمسـاعدة الكبيرة التي تلقتها أثيوبيا من السوفيت ، لن يتوقف التعاون العملي بين أثيوبيا وإسرائيل ، بل كل ما في الأمر استمر هذا التعاون متكيفا مع التغيرات والمعطيات التي فرضتها الظروف السياسية في تلـك المـرحلة . ومع علم إسرائيل بعدم رضى أمريكا عن شخص منغيستو وسلوكه أعلن روفين

ميرهـــارف مدير عام الخارجية الإسرائيلية " أننا نعتبر أثيوبيا الدولة الصديقة الثانية في البحر الأحمر ، وأنـــنا نؤمن بوحدة أثيوبيا ولا نتمنى انهيار نظامها القائم وإن كان الأمريكيون لا يحبون هذا النظام " ، لأن أثيوبيا الدولة الغير عربية الوحيدة التي تتمتع بموقع استراتيجي على البحر الأحمر [49] .

2. إن هـــذا التصريح الذي قام به مدير عام الخارجية الإسرائيلية كان بمثابة الضوء الأخضر لأثيوبيا عن استعداد إسرائيل في استمرار وزيادة دعمها لأثيوبيا . وقد كان هذا التصريح في الوقت الذي كانت به أثيوبـــيا بأمس الحاجة للمساعدات العسكرية بعد الخسائر الكبيرة التي مني بها الجيش الأثيوبي على يد الجبهة الشعبية لتحرير أرتيريا وجبهة تحرير تيغراي .

3. بعـــد الإطاحة بحكم مانغستو في مايو 1991م تولى زيناوي رئاسة أثيوبيا معلناً فيها بداية عهد جديد . دخلـــت حكومـــة زيناوي في مفاوضات مع حركة التحرير الإرتيري ، نتج عنها اتفاقية أغسطس عام 1991م الـــتي اعترفـــت بحـــق الشعب الأرتيري في تقرير مصيره من خلال استفتاء شعبي كما نصت الاتفاقـــية عـــلى أن يبقى ميناء عصب الأرتيري منطقة حرة مفتوحة تستطيع أثيوبيا استخدامها منفذاً للبحر الأحمر .

4. نالـــت أرتيريا استقلالها عن أثيوبيا بعد الاستفتاء الشعبي الذي جرى عام 1993م بعد صراع دام 30 عامـــاً ، غير أن أرتيريا لم تعلن هويتها العربية ولم تطلب الانضمام إلى الجامعة العربية ، واقتصرت على إعلان نفسها دولة أفريقية بحكم الانتماء الجغرافي ، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل تحاول تقويـــة علاقـــتها بإسرائيل وإبعادها عن الدول العربي والتنسيق معها ، خاصة وأن إسرائيل تمكنت من احتواء الموقف العدائي الأرتيري بعد علاج الرئيس الأرتيري سياسي أفورقي في مستشفياتها بعد إصابته بمرض خطير في المخ ، وبترتيبات أمريكية وصهيونية تحول أفورقي إلى صديق حميم للدولة الإسرائيلية ، بيـــنما أدار ظهـــره لكل الدول العربية التي قدمت المساعدة والتأييد للشعب الأرتيري في نضاله ضد الاحتلال الأثيوبي لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن [50] .

5. إن وحدة أثيوبيا تتمتع بأهمية كبيرة بالنسبة للمصالح الأمريكية والإسرائيلية في منطقة البحر الأحمر ومن أجـــل الحفـــاظ على هذه الوحدة قام الرئيس الأمريكي كارتر بمحاولة فاشلة لإقناع الجبهتين الأرتيرية والتيغرية في لقاء أطلنتا بقبول صيغة الحكم الذاتي الذي أقرته أديس أبابا للإقليمين [51] .

6. إن هذه الوحدة تعني بقاء السواحل الأرتيرية والتيغرية تحت السلطة الأثيوبية وكذلك جزر دهلك ذات الأهمـــية الاســـتراتيجية . وإن بقـــاء هـــذه السواحل وهذه الجزر تحت السلطة الأثيوبية يعني لأمريكا وإســـرائيل حق التصرف بها تحت ذريعة توفير الحماية والدعم لأثيوبيا ولكن الهدف الخفي الذي يكمن وراء ذلك هو السيطرة الكلية على البحر الأحمر .

7. وهكذا وبعد هزيمة الجيش الأثيوبي في مصوع حسمت أثيوبيا تذبذبها باتخاذ خطوة مشتركة مع إسرائيل لتعزيز أوضاع الجيش الأثيوبي . إنها فرصة ذهبية لإسرائيل لا يمكن أن تفوتها وهي التي عرفت بقدرتها على التكيف مع المعطيات والمتغيرات واستغلال الفرص المناسبة التي تتوفر لها بل وتتحينها .
8. وعلى هذا الأساس قام رئيس الأركان الإسرائيلي الجنرال دان شمرون بزيارة سرية إلى العاصمة الأثيوبية على رأس وفد عسكري كبير لتفقد الجبهات والإطلاع على احتياجاتها .
9. وفي المقابل قام كيس كيبيدي بزيارة إلى تل أبيب للحصول منها على تأكيدات حول تطوير برنامج التعاون العسكري والاقتصادي والثقافي قبل أن يتوجه إلى واشنطن . وعند انتهاء زيارته صرح كيسي كيبيدي : " لإسرائيل وأثيوبيا اهتمامات جغرافية استراتيجية مشتركة تقضي بالحول دون تحول البحر الأحمر إلى بحر يسيطر عليه ويتحكم بمنافذه العرب "[52].

إن إسرائيل تدرك جيدا الأهمية الاستراتيجية للسواحل الأثيوبية . قال مدير عام الخارجية الإسرائيلية " من يسيطر على مصوع يتحكم بالملاحة في البحر الأحمر " . وكذا هو الموقف من السواحل الأثيوبية بالنسبة لأمريكا التي كانت حريصة كل الحرص على توطيد علاقة حليفها الاستراتيجي إسرائيل مع أثيوبيا .

فقد كان الأمريكيون منذ وقت مبكر عنصر ربط وارتباط بين إسرائيل وأثيوبيا حيث كانت أثيوبيا الإمبراطورية لصيقة الارتباط بالسياسة الأمريكية وبالمعسكر الغربي بصورة عامة وكان الوجود الأمريكي المباشر قائما في قاعدة " كاجنيو " القريبة من اسمرا عاصمة أرتيريا ، وفي هذه المنطقة كانت توجد أضخم قاعدة للاتصالات الأمريكية خارج الأراضي الأمريكية ذاتها ، ومنها كانت ترصد منابع البترول وطرق إمداداته وحماية تدفقه إلى أوروبا وأمريكا بما يعنيه ذلك من أهمية استراتيجية بالغة إلى واشنطن . هذا فضلاً عن أن توطيد التعاون العسكري والاقتصادي بين أثيوبيا وإسرائيل ، شكل أساسا متينا لتعاون وصداقة البلدين مع أمريكا ووضع مقدراتهما تحت التصرف الأمريكي وخاصة أن كلا البلدين يتمتع بموقع غاية في الأهمية الاستراتيجية في البحر الأحمر . ففي الجنوب تطل صديقتها أثيوبيا على القرن الأفريقي وباب المندب وفي الشمال تطل صديقتها إسرائيل على خليج السويس ومضايق تيران من جانب وعلى خليج العقبة من جانب آخر .

وقد تطورت العلاقات الإسرائيلية الأثيوبية واخذت أبعاداً مختلفة في أوائل الخمسينات بعد توقيع العديد من المعاهدات العسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية الحليفة لكليهما ، وجاءت نقطة التحول الأساسية في هذه العلاقات بعد قيام إسرائيل في عام 1956م باحتلال سيناء فأصبحت إسرائيل بعدئذ قادرة على الملاحة من ايلات عبر مضيق تيران ، ومن ثم ساعدت أثيوبيا في توسيع هذه الملاحة بتقديم

موانئها كمحطات توقف للسفن والرحلات الجوية الإسرائيلية في طريقها إلى كينيا وجنوب أفريقيا وجنوب شرق آسيا [53] .

الخاتمة

نستنتج مما تقدم من المعطيات والحقائق والملابسات والخلافات والظروف السياسية والمصالح الاقتصادية التي تحيط بالصراع العربي الإسرائيلي حول البحر الأحمر ودور أثيوبيا في هذا الصراع الطويل الأمد ، والتي تمت الإشارة إليها . إن أثيوبيا وجدت في إسرائيل حليفا طبيعيا نظرا لأنهما الدولتان الوحيدتان غير العربيتين اللتان تطلان على البحر الأحمر وتجمعهما مصلحة مشتركة في أن لا يتحول هذا البحر إلى " بحيرة عربية " . وأن أثيوبيا لن تلتزم بموقف الحياد من هذا الصراع ومن الاستراتيجيات المتناحرة المتناقضة التي كل طرف فيها ينظر إلى الطرف الآخر بعين العداء ويحدد موقفه من هذا الصراع على أساس الموقف من الصراع الأساسي العربي الإسرائيلي حول القضية الفلسطينية والأراضي العربية الأخرى المحتلة .

لقد أتخذت أثيوبيا مواقف متغيرة ومتذبذبة بين مساندة العرب وإدانة الاحتلال الصهيوني كما حصل في عام 1968م وكذلك في عام 1973م حينما قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل وطالبتها بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة[54] بل تجاوزت ذلك إلى تحريض الدول الأعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية إلى اتخاذ نفس الموقف وتقديم الدعم السياسي للدول العربية في صراعها مع العدو الصهيوني وبين توسيع علاقات التعاون الاقتصادي والعسكري والاستراتيجي مع إسرائيل ومساندتها في مختلف مواقفها وخاصة تلك المواقف التي تخص منطقة البحر الأحمر والقرن الأفريقي بشكل خاص . تلك العلاقات التي تنبهت مبكرا إلى إقامتها إسرائيل مع أثيوبيا ولأهداف بعيدة ومحسوبة . فقد صرح عام 1952م موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي بأن أمن أثيوبيا وسلامتها هو الضمان لإسرائيل . وهكذا تدريجيا نمت العلاقات الأثيوبية – الإسرائيلية خلال الخمسينات والستينات في المجالات الاقتصادية والعسكرية . فضلاً عن تدريب العسكريين قامت إسرائيل بمشروعات إنمائية في مجالات الزراعة وصناعة اللحوم في منطقة أرتيريا . ويلاحظ أن هذه المشروعات كلها ركزت في منطقة أرتيريا اعتبارا من عام 1952م الذي شهد قيام الاتحاد الفدرالي بين أرتيريا وأثيوبيا .وإذا كان ذلك قد شكل اعتراف أثيوبيا واقعيا بإسرائيل فقد جاء الاعتراف الدبلوماسي عام 1956م إذ تبادل الطرفان التمثيل القنصلي الذي رفع إلى درجة سفارة عام 1961م وتم تبادل السفراء فعلا في عام 1962م .

علما بأن أثيوبيا لم تقطع علاقتها غير الرسمية بإسرائيل حتى في تلك السنوات التي أدانت فيها أثيوبيا السياسة الصهيونية الإسرائيلية وقطعت علاقتها الدبلوماسية بها .

لقد انتهجت أثيوبيا في السنوات الأخيرة سياسة الانفتاح العلني والرسمي مع إسرائيل وقامت بتوقيع العديد من الاتفاقيات والصفقات الاقتصادية والعسكرية والثقافية معها والتي تسمح لها بالتصرف

بأراضيها وموانئها ومطاراتها والتي توجتها بصفقة تهجير الفالاشا تحت الغطاء الأمريكي إلى إسرائيل وتوقيع اتفاقية تقضي بتأجير جزر الدهلك الاستراتيجية في البحر الأحمر إلى إسرائيل لمدة 99 سنة .

إذا كانت أثيوبيا بالأمس تعمل حسابها للمساندة العربية والمساعدة العربية والتضامن العربي وعلاقة الجوار التاريخية فهي اليوم وهي تعيش ظروف الاضطراب والقلق السياسي بعد إنفصال أرتيريا واستقلالها التام عنها عام 1991 وظروف اقتصادها المتدهور والمجاعة التي تجتاح كل عام أجزاء كبيرة منها بسبب الجفاف الذي يعتريها وحاجتها الماسة إلى المساعدة الاقتصادية ، لن تفكر بالتضامن العربي والعلاقة العربية بقدر ما تفكر بمن يملأ سلتها الفارغة . ومن يملأ سلتها سفنه ترسو بالقرب منها . لكن شروطه قاسية اجبرتها ليس فقط على الخروج من الجبهة العربية والانتقال إلى مواقع العداء لها وإحداث شرخ عميق بتلك العلاقة العربية الحبشية التي امتدت جذورها إلى عصور ما قبل التاريخ إلى علاقة العرب بمملكة اكسوم وذلك قبل ظهور دولة إسرائيل إلى الوجود بعشرات القرون . وإنما أصبحت المناطق والقواعد العسكرية الأثيوبية التي تسيطر وتشرف عليها الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل تشكل خطرا ليس فقط على البلدان العربية المجاورة أو الممتدة أراضيها على سواحل البحر الأحمر بل وإنما على عموم المنطقة وخاصة القرن الأفريقي منها .

إنها تشكل خطرا حقيقيا في الفترة الحالية أكثر من أي وقت مضى بسبب الوجود الأمريكي والأطلسي في الخليج والبحر العربي والبحر الأحمر وعلى الأراضي السعودية والكويتية والإماراتية التي لم تشهد منطقة الشرق الأوسط له مثيلا من قبل . إذ تجوب أساطيلها العسكرية العدوانية في المياه الإقليمية لبلدان هذه المنطقة دون الاستئذان منها وبالضد من كرامتها والدوس على استقلالها وسيادتها الوطنية وتحويل المنطقة إلى ترسانة من الأسلحة المحرمة والمدمرة قابلة للاشتعال بأي لحظة ممكنة كما حصل في حرب الخليج الأولى والثانية .

كل هذا باسم النظام الأمريكي الجديد وليس النظام العالمي الجديد ، الذي يهدف إلى الهيمنة الأمريكية على المنطقة العربية كلياً والتحكم بثرواتها البترولية واستعمارها من جديد وبشكل تدريجي وعبر مخطط أمريكي إسرائيلي تحت غطاء ودعم عربي ، ابتداء بتدمير القدرات العسكرية والاقتصادية والحضارية والبشرية للعراق وفرض الحصار عليه وإلحاق الضرر المتعمد بشعبه المكافح ، الذي ما زال ومنذ أكثر من عشر سنوات يرزح تحت وطأة هذا الحصار المروع والظالم ثمنا لمواقفه الوطنية والقومية ، ورفضه لسياسة الكيل بمكيالين التي يمارسها مجلس الأمن الدولي الذي تحول إلى أداة للظلم والتسلط على الشعوب الصغيرة ومساندة الدول الكبرى وحماية مصالحها في مختلف أنحاء العالم .

الهوامش :

(1) : أطلس العالم الجغرافي . موسكو 1986 ، ص 144 .

(2) : يوسف روكز : أفريقيا السوداء سياسة وحضارة . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت 1986 ، ص 99 .

(3) : محمود عبد الفضيل : النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1979 ، ص 86 .

(4) : محمـــود توفيق محمود : البحر الأحمر في الاستراتيجية الدولية . مجلة السياسة الدولية ، العدد 57 ، القاهرة ، يوليو 1979 ، ص 32 .
(5) : يوسف روكز : مرجع سابق ، الصفحة نفسها.
(6) : محمود نعناعة : إسرائيل والبحر الأحمر . مكتبة الخانجي ، القاهرة 1974 ، ص 8 .
(7) : عـــبد الله عبد المحسن السلطان : البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1984 ، ص 32 .
(8) : المرجع السابق نفسه ، ص 29 .
(9) : المرجع السابق نفسه ، ص 32 .
(10) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها.
(11) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها.
(12) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها.
(13) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها.
(14) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها.
(15) : Morgan W.T. : East Africa . London 1973 , P.148 .
(16) : محمود توفيق محمود : المدخل الجنوبي للبحر الأحمر . دار المريخ للنشر ، الرياض 1983 ، ص 57
(17) : مجموعة من الأساتذة السوفيت : عرض اقتصادي تاريخي . دار الفارابي ، بيروت 1981 ، ص 81 .
(18) : يوسف روكز : مرجع سابق . ص 111 .
(19) : عبد الله عبد المحسن السلطان . مرجع سابق ، ص 181 .
(20) : رياض رشيد الحيدري : مجلة آفاق عربية . 1981 ، عدد 8 ، ص 69 .
(21) : صحيفة معاريف الإسرائيلية في 1962/10/11م .
(22) : المرجع السابق نفسه .
(23) : فتحي غيث : الإسلام والحبشة عبر التاريخ . شركة الطباعة الفنية المتحدة ، دون مكان وتاريخ النشر، ص 2.
(24) : Spencer Trimingham : Islam in the Ethiopia . Oxford university Press , London , 1952 , P . 38 .
(25) : محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة 1965 ، ص 241 .
(26) : المرجع السابق نفسه ، ص 238 .
(27) : عبد الوهاب محمد الميسري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، القاهرة 1975 ، ص 281 .
(28) : جودة حسنين جودة : جغرافية أفريقيا الإقليمية . دار النهضة العربية ، بيروت 1981 ، ص 265 .
(29) : عبد الله عبد المحسن السلطان : مرجع سابق . ص 207 .
(30) : عـــبدالله عـــبدالرزاق إبراهـــيم : موســـوعة الـــتاريخ والسياسة في أفريقيا . المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة 1997م ، ص72 .
(31) : عـــبدالله النفـــيس : أرتـــيريا شأن جزيري عربي . مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . عدد 8 ، 1976م ، ص70 .
(32) : عـــبد الســـلام إبراهـــيم بغدادي : العلاقات الصهيونية الأثيوبية في ضوء المتغيرات الاخيرة . جريدة الجمهورية العراقية بتاريخ 1985/2/19م .
(33) : حلمي عبدالكريم الزعبي : مخاطر التغلغل الصهيوني في أفريقيا . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1985م ، ص39 .
(34) : المرجع السابق نفسه ، الصفحه نفسها .
(35) : ندوة العرب وأفريقيا . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1984 ، ص 392 .
(36) : حلمي عبدالكريم الزعبي : مرجع سابق ، ص65 .
(37) : محمد علي حوات : مضيق باب المندب أهميته الاستراتيجية وتأثيرها على الأمن القومي العربي . مكتبة مدبولي، القاهرة دون تاريخ نشر ، ص34 .

(38) : المرجع السابق نفسه ، ص35 .
(39) : ديفيد كسلر : الفلاشا يهود أثيوبيا . منشورات دار الكرمل – صامد ، عمان 1985م ،ص113 .
(40) : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها .
(41) : عبد الله عبد المحسن السلطان : مرجع سابق . ص 232 .
(42) : المرجع السابق نفسه ، ص 228 .
(43) : ديمـــتري ك . بونومـــاربوف : سياســـة إسرائيل في أفريقيا الاستوائية . ترجمة عماد الدين حاتم ، منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، سبها 1984 ، ص 36 .
(44) : عبدالله عبدالرزاق إبراهيم : مرجع سابق ، ص73 .
(45) : المرجع السابق نفسه ، ص 72:
(46) : مـــن ندوة أقامها مركز دراسات الوحدة العربية – مكتب القاهرة – حول التطورات الراهنة في القرن الأفريقي وانعكاساته على الأمن القومي العربي – أكتوبر 1991م .
(47) : محمد علي حوات : مرجع سابق ، ص112 .
(48) : ديفيد كسلر : مرجع سابق ، ص118 .
(49) : عبد الله عبد المحسن السلطان : مرجع سابق . ص230 .
(50) : محمد علي حوات : مرجع سابق ، ص117 .
(51) : المرجع السابق نفسه ، ص 137 .
(52) : عبد المنعم سعيد : العرب ودول الجوار الجغرافي . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1987 ، ص 186 .

(53) : Michael A . Ledeen : " The Israeli connection " . Washington Review of strategic and International Studies . (May 1978) , special supplement , white paper , "The Horll of Africa " , P . 47 .

(54) : Organization of African Unity . Council of Ministers , Resolutions Recommendations and Extraordinary Sessions of the Council of Ministers (Tenth to the twentieth ordinary sessions , seventh Extra – ordinary sessions) , 1968 – 1973 , vol . 2 Addis Ababa 1973 , P . 2 .